

الأُخْلَاقُ جُوهرُ التَّرْبِيةِ



لقد حدد الرسول (ص) الهدف من بعثته فقال: "إِنَّمَا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وعندما تقع ابنة حاتم الطائي في الأسر.. يقول المعلم الأول محمد (ص) ل أصحابه: "اتركوها فإنْ أباها كان يحب مكارم الأخلاق".

ويحب رسول الله أخلاقيات عنترة (الشاعر الجاهلي) في قوله:

وأغض طرفِي إن بدت لي جاري *** حتى يواري جاري مأواها

قبل الحضارة الإسلامية وبعدها قامت إمبراطوريات وشمت دول.. فكيف إنها رت.. ولماذا؟ لضمور الجانب الأخلاقي في تلك الأمم.

إنما الأُمّم الأخلاق ما بقيت *** فإنهم ذهبوا

في عالم اليوم قد تجد إنساناً في غاية الدمامنة والكياسة.. فإذا عاملته بالدرهم والدينار وجده لصاً.. وإذا تعرّفت عليه في عالم السياسة وجدته ذئباً يسير على قاعدة: إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.. وإذا راقبته في أموره.. رأيت مذهب مصلحتي أوّلاً وأخيراً.. وإذا متْ طمآنًا فلا نزل القطر. في عالم اليوم تجد الرجل الإنكليزي في بريطانيا والأمريكي في الولايات المتحدة مثلاً، على غاية من الالتزام بأخلاقيات المواطن الصالح.. في بيته وعمله ومعاملاته مع الآخرين.. فإذا خرج هذا الإنسان إلى إحدى المستعمرات مثلاً.. تحول من إنسان إلى وحش.. نسي إنسانيته أو تركها في بلده وجاء إلى هنا يستعبد الناس وينهض ثرواتهم ويحرّمهم أدنى حقوقهم.. وهو ما زال يشعر بالرضا.. فأخلاقيات المواطن الصالح تدفعه إلى ذلك.

الأخلاق عندهم مصلحة مرتبطة بالزمان والمكان والنفع والضرر.

أمّا في المنهج التربوي الإسلامي فالفضيلة هي الصفة الجامعة للخصائص التي يجب أن يتميز بها الإنسان في الفكر والسلوك.. مما يجعل الأخلاق جوهر العملية التربوية.. الأخلاق في كلٍّ شيء.. في القول والعمل، في البيت والشارع، في المصنع والمتحجر، في السياسة والمعاملات.. في بلدك وفي بلدان الآخرين.. فهي أخلاق تنبئ من عقيدة المسلم ومبادئه.. لا من أنا نياته ومصالحه. والفرائض التي افترضها الإسلام على المسلمين إن هي إِلَّا تمارين متكررة لتعويد المرأة أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغير أمامه الظروف.

ففي الصلاة مثلاً يقول تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/ 45).

وكذلك الأمر في بقية العبادات فهي مدارج الكمال المنشود وروافد التطهير الذي يصون الحياة ويعلي شأنها.

ولا يقتصر حسن الخلق على مجرد الفعل، وذلك لأنّ الصورة الظاهرة (الخلق) قد لا تعبّر عن الصورة الباطنة (الخلق) فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال وربّما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رباء.

المصدر: كتاب التربية ودورها في تشكيل السلوك